الإسلام و'الإرهاب' في تقرير مجلس الاستخبارات القومي الأمريكي: التناقضات والمغالطات

26-2-2005

بقلم: علي حسين باكير / باحث سياسي

لكن ما أثبته الواقع وخاصّة في السنوات الـ 15 الأخيرة، أنّ هذه الدراسات والتقارير التي توصف "بالمستقبليّة أو الاستشرافيّة" لا تهدف في حقيقة الأمر إلى استشراف المستقبل بقدر ما تهدف إلى تطويعه في الاتّجاه الذي تريده، وذلك عن طريق طرح تصورات خاطئة وافتراضات وهميّة لنزاعات ستقوم، أو أعداء محتملين سيظهرون، أو خصوم مستترين سينكشفون.....الخ.

أصدر مجلس الاستخبارات القومي الأمريكي N.I.C، وهو مجلس تابع إداريا وهيكليا للـ C.I.A، لكنه مستقل عنه في عمله، ومهمّته تقديم التصورات والتحليلات المتوسّطة والبعيدة المدى لأجهزة الاستخبارات كافّة، وتقديم النصح والإرشاد لرئيس أجهزة الاستخبارات الأمريكية وإعادة صياغة المعطيات بطريقة عملية للاستفادة منها في عمل هذه الأجهزة ومهام أخرى.

أصدر في 13 كانون أوّل عام 25 تقريرا بعنوان "مشروع عام 22" كاستشراف للأحداث والتطوّرات الدولية على كافّة الصعد حتى عام 22. وتجدر الإشارة في البداية أن الاستشراف والدراسات المستقبليّة تحوّلت إلى ما يشبه "الموضة" الفكريّة خاصّة لدى مراكز الأبحاث والدراسات، والتي طالما وصفت بأنّها موضوعيّة وأكاديميّة، وأنّها تسعى دائما لاستشراف المستقبل من أجل العمل على مواكبة التطوّرات وتصحيح المسارات. **لكن ما أثبته الواقع وخاصّة في السنوات الـ 15 الأخيرة، أنّ هذه الدراسات والتقارير التي توصف "بالمستقبليّة أو الاستشرافيّة" لا تهدف في حقيقة الأمر إلى استشراف المستقبل بقدر ما تهدف إلى تطويعه في الاتّجاه الذي تريده، وذلك عن طريق طرح تصورات خاطئة وافتراضات وهميّة لنزاعات ستقوم، أو أعداء محتملين سيظهرون، أو خصوم مستترين سينكشفون.....الخ.**

فإذا لم يكن هناك لهذه العناصر وجود، فإنه وبعد صدور هكذا تقارير ودراسات سيبدو وكأن لها أثر. وبذلك تكون هذه الدراسات والتقارير قد غيّرت ما كان من الممكن أن يكون عليه المستقبل، فصنعت الواقع المستقبلي الذي تريده هي ولم تستشرفه، خاصّة أن العديد من الجهات الأخرى المتلقيّة لهذه الدراسات التقارير ستأخذ بعين الاعتبار مصداقيّة وموضوعيّة هذه التقارير على أساس أنها صادرة من مراكز بحثيّة لديها المعطيات الصحيحة واللازمة، وبالتالي فهي تتمتّع بالمصداقيّة والجدّية، الأمر الذي يؤدّي إلى استسلام المتلقيّن لها فكريا وواقعيا والامتثال للسيناريوهات المفروضة فيها.

أضف إلى أنّ هكذا دراسات ومن ضمنها هذا التقرير تشكّل في معظم الأحيان عمليّة هروب "أنيقة" من الواقع بتعقيداته ومشكلاته الصعبة المعالجة والتحليل إلى آفاق المستقبل غير المحدودة بزمان أو مكان معيّن، والمفتوحة على كافّة الاحتمالات.

وعودة إلى موضوع الإسلام والإرهاب في التقرير، يبدو أنّ التقرير قد تعمّد في بعض المواضع ذكر المغالطات وذلك للفت الأنظار عن الموضوع الأساسي، ولم يكتف التقرير بربط الإرهاب بالإسلام بل تحدّث في كثير من الأحيان عن الإرهاب بمعنى الإسلام، فعلى سبيل المثال ذكر التقرير تحت عنوان "تحول الإرهاب الدولي": (لا يبدو أن العوامل الأساسية التي كانت تشكل البيئة الخصبة لتفشي ظاهرة الإرهابالدولي سوف تضمحل أو يتضاءل شأنها على مدى السنوات الخمس عشرة القادمة وانبعاثالهوية الإسلامية الذي يسهل سبله تطور نظام الاتصالات العالمي، سوف يخلق إطار عمليتيح انتشار الأيديولوجيا الإسلامية الأصولية داخل الشرق الأوسط وخارجه بما فيهامناطق جنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى وأوروبا الغربية.... وكان هذاالانبعاث للهوية الإسلامية بمثابة استجابة لتسلط الحكومات وسياساتها القمعية وردةفعل على الفساد المستشري، وعدم فعالية المؤسسات الحكومية وعقمها،.....كما سينضم إلى صفوف هؤلاء الذين لديهم الاستعداد النفسي والفكري للانخراط فيصفوف الإرهابيين فئات من الشباب المهمش العاطل عن العمل الذي يتفاقم الشعور لديهبغربته عن المجتمع).

هذه عيّنة من التقرير فيها الكثير من المغالطات والتلبيس، فعلى سبيل المثال ذكر في هذه الفقرة أن العوامل المسبّبة "للإرهاب" لن تزول ولكن لم يتم ذكر هذه العوامل وذلك لأنّ الولايات المتّحدة لها اليد الطولى في العوامل المسبّبة للإرهاب في العالم، كما سمى التقرير في هذه الفقرة المناطق ولكنّه لم يسم المسئولين عن إشعال الحروب فيها، كالصهاينة في فلسطين والأمريكيين وحلفاؤهم في العراق.

كما أرجع ارتفاع العمليات المسلحة إلى عوامل تسلّط الحكومات والسياسات القمعيّة والفساد المستشري. لكنّ ذلك جزء من الحقيقة، فالحقيقة الكاملة هي أن الولايات المتّحدة هي المسئول الأوّل عمّا يجري من فوضى عالمية اليوم، فهي التي دعمت هذه الديكتاتوريّات التي يتحدّث عنها التقرير، كما أن التقرير حاول إخفاء حقيقة أن سياسة الولايات المتّحدة في الشرق الأوسط طيلة الـ 5 سنة الماضية ودعمها غير المحدود لإسرائيل والجزّارين أمثال شارون كانت العامل الحاسم والأساس لظهور ما يسمّى بـ"الإرهاب"، إلى جانب أنّ التقرير كان دائما عندما يتكلّم عن "الإرهاب" يأتي على ذكر الإسلام إلا في موقعين بسيطين، حيث ذكر

الإسلام وذكر غيره، ولكنّه بشكل عام أهمل أن هناك إرهابا صليبيا جديدا متمثّلا بالمحافظين الجدد واليمين المسيحي، وأهمل الإرهاب الصهيوني وإرهاب الدولة الأمريكي وأهمل وجود إرهاب المافيات الإيطاليّة المشهورة وإرهاب جماعات السلاح والمخدّرات والتزوير، وكأنه لم يبق سوى "الإرهاب" الإسلامي!!!.

وهذه كلّها نقاط أهملها التقرير وحاول في المقابل الاستتار ببعض أوراق التوت المتناثرة. على العموم حاول التقرير الاستهانة بمن يسمّيهم "الإرهابيون" عندما ذكر أنّهم مجموعة من الشباب العاطلين عن العمل والمهمّشين وغير المتعلّمين والجهلة والظلاميين (كما يسميهم الكثيرون)، وهذه مغالطات كبيرة دأب الأمريكيون على الترويج لها منذ أحداث 11/أيلول، وكأنّهم بعد 4 سنوات عمّا جرى لهم لم يتعلّموا الدرس ولم يعرفوا لماذا تمّ استهدافهم هم بالذات بهذه الطائرات؟ فالغرب في إطار الحرب على العقول وتشويه الحقائق يعمد دائما إلى ذكر أن من يقوم بهذه العمليات، إنما يقوم بذلك لأنّه إما فقير معدم ويحسد التطور الحاصل في الغرب، وإمّا أنه جاهل متخلّف ظلامي.... ناقم على العلم والانفتاح والتحرر، وإما أنّه عاطل عن العمل و يائس من الحياة ولم يجد الحل المناسب فيقوم بهذه الأعمال، كل هذه الحجج الكاذبة يتم التسويق لها لحجب الحقيقة، وهي أن الغرب مسئول كامل المسؤولية عمّا يجري اليوم على الساحة العالمية من فوضى و من الكيل بمكاييل متعدّدة ومن اتّخاذ الإسلام عدوّا يجب القضاء عليه، وليست هذه بأوهام أو ترّهات، ومن لم يدرك ذلك فليرجع إلى هانتجتون و وولفويتز و بيرل والمنظّرين الأمريكيين.

خلاصة القول إنه ما لم تعترف أمريكا بأخطائها وبأنّها المسئولة عن الفظائع والمجازر التي تجري بحق المسلمين أينما كانوا لن تؤدي الحرب على "الإرهاب" إلا إلى تفاقمه، وأمريكا الخاسرة في النهاية على المدى البعيد، ومن شكك في هذا الأمر، فعليه قراءةكتاب " Imperial Hubris"، ألفهمسئول رفيع المستوى من داخل وكالة المخابرات الأميركية السي آي إيه، ومن الذين اشتغلوا في ملفات الإرهاب ومتابعاتها لسنوات طويلة، ولم يشأ أن يضع اسمه على الكتاب عند صدوره ولكنه عرف فيما بعد فاستقال من منصبه. قال مايكل شاور في أول مقابلة له بعد إعلان استقالته من الـ'سي أي إيه' لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب'؟: 'طالما أننا لا نحترمهم (المسلمين) سنموت بأعداد كبيرة'. وأكد أن المسلمين يعتقدون بأن الولايات المتحدة مسئولة عن موت ملايين المسلمين في العالم؛ لذلك فإن المعاملة بالمثل تعني أنه يمكن قتل ملايين الأمريكيين.

للعودة للأعلى